الغافلين، خاصةً مع دخول رمضانٍ ثانٍ والمعركة لا تزال مشتعلة، والإبادة مُستمرَّة.

هذه المشاهد ليستْ مجرد تأريخٍ لأحداثٍ ماضية، إنَّها شهادةُ رجلٍ عاش اللحظة بكلِّ تفاصيلها، وكتبها كما تُكتب الوصايا الأخيرة، قبل أن يرتقي إلى مقام الصِّدِّيقين والشهداء.

وفي هذا الكتاب، يحدّثك مؤلِّفُه أيضاً عن قضايا ومعانٍ وتفاسيرَ وأحكامٍ التصقت بروحه، وتشرَّبتْها نفسُه، وسكنَ إليها قلبُه، فغدتْ جزءًا من كيانه، وحكايةً من روحه، ولم يَحُلْ اشتغالُه في خِضمِّ معركةٍ فاصلة دون أن يغوص في أعماق القرآن تدبُّرًا، وفي شِعاب الفقه تأمُّلاً واستنباطًا.

فهو -وهو يحمل سلاحه- لم يغفل عن حمل القلم، يذود به عن فكرٍ أسَّسه الجهاد، ويستنطق به النصوص بعيون الميدان، فتراه بين هدير المعركة ووقع القذائف، يغرس بذور الهدى في أرضٍ مزَّقتها النار، ويرفع راية التفسير في ميدان الجهاد في سبيل الله تعالى، وإذا تابعتَ نظراته في آيات الله، وتوقُّفَاتِه عند مواطن التدبّر، وتأمّلاته العميقة فيما خصَّه من آياتٍ وسورٍ بالبيان والدرس، أدركتَ بيقينٍ أنَّك أمام عقلٍ علميٍّ بصير، واسعِ الاطلاع، راسخِ القدم في العلم، دقيقِ النظر، شديدِ الملاحظة، متينِ المَلَكة، قادرٍ على الاستنباط الحيِّ من النص، والربط بين غايات القرآن وسنن الواقع.

وقدأفرد في كتابه تأملاتٍ لافتةٍ في بعض سور القرآن المكي، فوقف طويلاً عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ من سورة الفجر، يربطها ببأس الله القادم الذي لا يُغفِل ظالمًا، كما رأى في سورة الضحى دفءَ العناية الربانية التي لا تتخلى عن المؤمن، حتى في أشد اللحظات حُلكة، وفسَّر سورة القلم بنَفَسٍ مجاهدٍ أدرك المعركة بين القيم والانحراف في أشد صورها، فكان بيانه تعبيرًا عن وعيٍ قرآنيٍّ متجذِّر، وَوَقَفَ عند قصة يونس ﷺ ليستخرج منها